

المحاضرة السابعة

الأسرة الأيسورية (717-820م)

تتناول المحاضرة العناصر التالية:

- ليو الثالث الأيسوري (717-741م)
- قسطنطين الخامس (741-775م) يتخللها فترة اغتصاب العرش من ارتوفاتس لمدة عام
- ليو الرابع (775-780م)
- قسطنطين السادس وايرين (780-802م)
- 1. قسطنطين تحت الوصاية (780-790م)
- 2. انفراد قسطنطين بالحكم (790-797م)
- 3. انفراد إيرين بالحكم (797-802م)

امتداد الأسرة الأيسورية، أو فترة اللاأسرة

- نقفور الأول (802-811م)
- ستوراكيوس (811م)
- ميخائيل الأول الرنجابي (811-813م)
- ليو الخامس الأرمني (813-820م)

بدأ اسم ليو الأيسوري في الظهور أثناء هروب جستنيان الثاني من بلاط ملك الخزر، ووصوله بمركب صيد إلى ساحل البحر الأسود، فانضم ليو لجستنيان الثاني وظل يسانده حتى تمكن من العودة لعرشه عام 705م، وكانت مكافئته أن ترقى في منصبه حتى أصبح من قادة الثغور البحرية، وبعد القضاء على جستنيان عمل في خدمة الأباطرة اللاحقين، وأظهر إخلاصا في عمله حتى صار قائد لأكبر الثيمات البحرية في الإمبراطورية، ثم قائد لمنطقة الأناضول.

ويبدو أن ليو كان طوال الوقت يتطلع للعرش ويرى في نفسه الصلاحية لتولي أمور الإمبراطورية أكثر من هؤلاء الأباطرة الضعاف، وتثبت روايات المؤرخين أنه عمل على أكثر من جهة لتحقيق رغبته للوصول للعرش، ففي خدمة الأباطرة تقانى حتى يصل إلى أعلى المناصب العسكرية، ومكنه ذلك من تكوين جبهة عسكرية مخصصة له، وأثبت كفاءة حربية ومواهب عسكرية مميزة، جعلت الجنود يتمسكون به ويثقون به، ومن جهة أخرى استغل الفوضى التي سادت الحياة العامة في الإمبراطورية، ووثق علاقته بالمسلمين، وساعده على ذلك أصوله العربية، ولغته العربية الجيدة، فوثق علاقته **بمسلمة بن عبد الملك** الذي كلفه شقيقه الوليد ثم سليمان بفتح القسطنطينية، واقنع ليو مسلمة بإخلاقه له، وبأنه سيكون دليله للدخول إلى القسطنطينية، وساعدته تلك العلاقة على معرفة تفاصيل القوات الإسلامية البرية والبحرية، والخطة الهجومية التي أعدها مسلمة بن عبد الملك للإستيلاء على القسطنطينية، وأغلب الظن أن ليو كان يتعامل مع القوات الإسلامية على أنها قوات احتياطية، يمكن أن يستغلها لمساعدته في الإستلاء على العرش، فلما تمكن من الوصول للعرش وحصل على تنازل من ثيودوسيوس الثالث، لم يعد في حاجة لتلك القوات، بل وجب عليه التخلص منها لحماية الإمبراطورية.

وبمجرد أن ارتقى ليو عرش الإمبراطورية، أثبت جدارته بهذا المنصب، فكان يعمل طوال الوقت من أجل اصلاح أحوال الإمبراطورية واستقرارها، وتميز عصره بمواكبة الإصلاح الداخلي مع صد الأخطار الخارجية، فعمل على الجانبين في نفس الوقت، ورأى أن يتخلص من القوات الإسلامية أولا،

حتى يتفرغ لمشاكل الإمبراطورية التي خلفتها مرحلة الفوضى التي تلت حكم جستنيان الثاني، وكانت كل شؤون الإمبراطورية قد تعرضت للإهمال في السنوات الأخيرة من حكم أسرة هرقل، ودب الفساد في كل الإدارات، بينما على المستوى الخارجي، كانت القوات الإسلامية قد حاصرت القسطنطينية برا وبحرا، فأعد ليو خطة للقضاء على القوات الإسلامية، تعتمد على منع المؤن عن الجيش الإسلامي، وكان على علم بالمكان المخازن التي أودع فيها مسلمة طعام الجنود، فأرسل ليو جنوده للإستيلاء على ما تحويه مخازن الطعام التي أعدها مسلمة، فتعرضت الجيوش الإسلامية لنقص كبير في المؤن والزاد، وتعذر توفير المؤن في جو الشتاء قارس البرودة في تلك الأماكن، في نفس الوقت، كان ليو في حاجة لقوات خارجية لدعم الجيش البيزنطي، الذي أصابه الضعف والإنهيار أثناء سنوات الفوضى، فلجأ لاستغلال علاقات الإمبراطورية الدبلوماسية، وأرسل ليو لملك البلغار يطلب منه المساعدة على تخليص القسطنطينية من الحصار الإسلامي، فتقدمت القوات البلغارية، وهاجمت القوات الإسلامية المحاصرة للمدينة، فاشتبكت معهم وشتتت جهود القوات الإسلامية بين محاربة البلغار ومهاجمة القسطنطينية، وفي نفس الوقت وثق علاقته بمملكة الخزر، وطلب زواج ابنة خاقان الخزر من ابنة قسطنطين، فتوطدت العلاقات بين الطرفين، وضمن وقوف الخزر إلى جانبه في حروبه مع المسلمين، ورغم كل تلك الضغوط كان الحماس للجهاد والفتوحات الإسلامية سبب في صمود جيش مسلمة واستمرار الحصار، وساعده على الصمود وصول نجدات من البحرية المصرية ومن بلاد الشام، الذين وافوه بعدد كبير من السفن والجنود، إلا أنه حدثت عدة أمور دعت لإنهاء الحصار الإسلامي، إذ اتصل قادة القوات البيزنطية ببعض البحارة من المسيحيين العاملين على الأسطول الإسلامي، وناشدوهم باسم الدين لعدم مساعدة المسلمين في اقتحام القسطنطينية، فتخلى هؤلاء عن مواقعهم على السفن الإسلامية، واستخدم البيزنطيون النار البحرية (الإغريقية) للمرة الثانية لضرب السفن الإسلامية، مما سبب خسائر فادحة للأسطول الإسلامي، وفي ذلك الوقت وصلت أنباء وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك، وتولي عمر بن عبد العزيز، وبمجرد توليه أمور الخلافة، أرسل عمر في استدعاء مسلمة، وأمر برفع الحصار وعودة الجنود، فعاد الجيش لبلاد الشام في 718م بعد حصار زاد عن العام.

ساعدت هذه العوامل مجتمعة على فشل حملة مسلمة بن عبد الملك في فتح القسطنطينية، أما أهم الأسباب في عدم سقوط القسطنطينية في ذلك الوقت، فكان حصانة المدينة وقوة أسوارها، فاستعصت على اسلحة المسلمين، وغيرهم من القوات التي حاولت حصارها واسقاطها.

وبمجرد انتهاء ليو من صد الخطر الإسلامي، بدأ مباشرة في الإصلاحات الداخلية، وكان أهم ما يقوم به لتنظيم أمور الإمبراطورية، هو تنظيم القوانين، فقرر إعادة صياغة قوانين الدولة بما يواكب المتغيرات التي طرأت على الإمبراطورية، فأعد لجنة قانونية، مثلما فعل جستنيان من قبل، أعادت فحص قوانين الإمبراطورية منذ بدايتها، والتعديلات التي أجراها جستنيان، والتشريعات التي أصدرها، وقامت اللجنة القانونية التي يرأسها الإمبراطور نفسه وتضم ابنه قسطنطين بكثير من التعديلات القانونية، وسميت المجموعة القانونية الجديدة بالإكلوجا، ومعناها المختارات، وهذا الاسم يوضح مضمونها، فقد تخيرت أفضل ما وجدته من قوانين الإمبراطورية منذ نشأتها ومن تعديلات ثيودوسيوس وجستنيان وأبقت عليه، واستبعدت كل ما وجدته غير مناسب، وعدلت ما يستوجب التعديل، وأهتمت الإكلوجا بقوانين الأسرة، وأكدت على ضرورة توثيق عقود الزواج، وحقوق الزوجين وواجباتهم، وتقيد الطلاق وحصره في حالات معينة تم تحديدها، وتطرق القانون لحقوق الأطفال في ظل وجود الأبوين أو وفاة أحدهما أو كليهما، ونظمت قوانين الوراثة طبقا للتشريعات المسيحية، واستبدلت الإكلوجا عقوبة الإعدام بعقوبات أخرى، وإلى جانب ذلك تناولت تنظيم القوانين العامة، والضرائب وحقوق الدولة على المواطنين، وإلى جانب ذلك صدرت قوانين على هامش الإكلوجا، خصت الإدارة العسكرية بقانون مستقل، كما خصت البحرية كذلك بقانون مستقل، وكذلك خصت المزارعين بقانون ينظم حياتهم وحقوقهم والضرائب المقررة

عليهم، وكان لهذه القوانين دور كبير في ضبط الحياة العامة، وتقدير حقوق الدولة من الضرائب، ونتيجة لذلك زادت أموال الخزانة العامة ونعمت الإمبراطورية بفترة من الرخاء الاقتصادي بعد سنوات طويلة من التدهور في جميع مرافق الدولة، وصدرت المجموعة القانونية باسم الإمبراطور ليو وابنه قسطنطين، ويصف المؤرخون الإكلوجا بأنها تعاملت مع المواطنين بشكل أكثر إنسانية من مجموعة جستنيان القانونية، وأن روح الديانة المسيحية وادابها ظهرت بوضوح في تطبيق قوانين الإكلوجا.

وكان لنجاح ليو الثالث في صد الهجمات الإسلامية عن القسطنطينية، والإصلاحات القانونية التي قام بها صدى كبير داخل الإمبراطورية، إذ إلتف الناس حول الإمبراطور، وزادت ثقتهم في قدرته على النهوض بالإمبراطورية من جديد، وظهروا تعاون كبير معه، واتجه ليو بعد ذلك لتنظيم الشؤون الداخلية وإصلاح الأحوال الاجتماعية، وانعاش الحياة الاقتصادية.

غير أن هذه المحبة التي قدمها الأهالي لليو، سرعان ما تحولت لغضب وسخط على الإمبراطور عندما تعرض للأمور الدينية، ولم يغفروا له تناول الأيقونات المقدسة بسوء.

وكان المسلمون قد ظلوا يتوغلون في منطقة الأناضول، حتى أنه في عام 727م كانت نيقيا، وهي أهم المدن التي تحمي القسطنطينية على الجانب الآسيوي للبلسفور ومقر الحرس الإمبراطوري، (التاجماتا) في الجانب الآسيوي كادت تقع في أيدي المسلمين، وفي نفس الوقت حدث زلزال كبير في الجانب الشرقي للإمبراطورية، كانت له عواقب سيئة، وما كادت الإمبراطورية تتخلص من آثار الزلزال، حتى يضرب العاصمة إعصار مدمر، وكان نتيجة ذلك انتشار الأوبئة والأمراض التي أدت لبوادر انتشار طاعون جديد في القسطنطينية، فأعاد الناس وعلى رأسهم الإمبراطور تلك المصائب التي تتوالى على الإمبراطورية إلى الغضب الإلهي، ودعا رجال الدين لإقامة الصلوات في الكنائس والكف عن الممارسات العامة التي أدت لذلك الغضب الإلهي، وأجمع عدد كبير من رجال الدين أن التعبد للأيقونات هو أكبر الممارسات الخاطئة التي سقط فيها عامة البيزنطيين، وأن كثير من المثقفين منذ انتشار المسيحية يقومون بنقد الأيقونات ويحاولون منعها، ولكن تمسك الناس بها وتصريح رجال الدين بوجودها، جعلها أمر ضروري في حياة العامة، لا يمكن الإستغناء عنها، وكانت النتيجة أن أعلن الإمبراطور أن على رجال الدين توعية العامة للكف عن تلك الممارسات، وكان ذلك بداية التطرق لأمر محاربة الأيقونات، فاصدر الإمبراطور مرسوم تحريم عبادة الصور عام 726م، ودعمه كثير من أعضاء السناتو ورجال الجيش وطبقة المثقفين، وكانت عبادة الأيقونات قد انتشرت بشكل في المجتمع المسيحي، وسمح رجال الدين مع بداية انتشار المسيحية بتصوير السيد المسيح والسيدة العذراء والحواريين، على أساس أنها وسيلة لتعليم مفاهيم الدين وتقريبه لأذهان العامة، وأعتبروا هذا الأسلوب من التعليم بأنه (إنجيل الأميين)، غير أن تقديس الأيقونة تزايد بمرور الوقت، وارتبطت الأيقونة في أذهان العامة بتحقيق المعجزات، وتحلت بصفات فوق صفات البشر، حتى أن البعض أعتبرها الحارس من شرور الشيطان، والحافظ لهم ولأبنائهم من أي سوء، فقام البعض بتعيين أيقونة عراب لأطفالهم عن الميلاد.

وقد تناول المؤرخين الأسباب التي جعلت الإمبراطور ليو يتخذ موقف ضد الأيقونات، فبعضهم قال أنه تأثر بالمسلمين، إذ كان الخليفة يزيد بن عبد الملك قد أمر بتحطيم الأيقونات وإزالة الصور من الكنائس التي تخضع للحكم الإسلامي عام 723م، وأطلقوا عليه ليو ذو العقليّة الإسلامية، والبعض الآخر قال أنه كان قد حفظ العهد القديم وتأثر بتعاليم اليهودية التي تحرم التصوير، بينما قالت أحد الروايات، أن عرافا يهوديا كان قد قابل ليو وبشره بأن شأنه سيعلو حتى يصبح إمبراطور، وعليه كي يحافظ على عرشه أن يبطل عبادة الصور والتماثيل التي يقدها المسيحيون، على أية حال لم يكن ليو الثالث أول من نادى بتحريم الأيقونات، فكان كثير من رجال الدين والمفكرين منذ انتشار المسيحية، يبدون اعتراضهم على

سيطرة الأيقونات على الحياة العامة، أما أول من ناهض عبادة الأيقونات من الأباطرة، فكان الإمبراطور موريس.

كان لسياسة ليو الثالث الدينية أثر كبير في علاقة الإمبراطورية البيزنطية بابابوية روما، إذ رفض البابا **جريجوري الثاني** مبدأ محاربة الأيقونات، أو مجرد نقض التبرك بها، إلا أن أحوال إيطاليا مقر البابوية وتعرضها للغزو للمباردي، كان يحتم على البابا عدم معاداة الإمبراطور البيزنطي، فاكتمى باظهار الإستياء، وعدم الموافقة على تلك السياسة، وحاول مؤيدي الأيقونات الدفاع عنها، واقناع الإمبراطور بدورها في تعليم الأميين، غير أن الإمبراطور أصر على موقفه، وقابل العامة مرسوم الإمبراطور بالثورة التي رد عليها الإمبراطور بالعنف.

فلما تولى البابا **جريجوري الثالث** لم يكتف باظهار الإستياء، وإنما أبدى معارضته الشديدة لقرارات الإمبراطور، فبادر بعقد مجمع ديني في روما 731م، أدان فيه محاربي الأيقونات واعتبرهم خارجين على الكنيسة، وأصدر ضد الإمبراطور قرار الحرمان، فرد الإمبراطور بدوره رد عنيف، فأمر بالقبض على ممثل البابا في القسطنطينية، ومنع عن كنيسة روما كل ما كان يقدم لها من هبات، وحوله إلى كنيسة القسطنطينية، فحدثت الفجوة بين الإمبراطورية البيزنطية والبابوية في روما، واتسعت الهوة بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، والتي انتهت بأحداث القطيعة الدينية بين روما وبيزنطة، وزادت الثورة الشعبية على سياسة الإمبراطور بعد ثورة بركان عام 736م، والتي أعادها العامة ورجال الدين إلى محاربة ليو للأيقونات، غير أن الإمبراطور لم يهتم لا بالقطيعة ولا لقرار الحرمان الذي أصدره البابا، ولا بحالة السخط الشعبي على سياسته الأيقونية، وعاد لإتمام حركة الإصلاح الداخلي التي بدأها منذ توليه العرش، وعمل على تقوية الجيش واصلاحه.

أما البابوية التي كانت تستند لوجود الإمبراطور في وقف التقدم للمباردي في إيطاليا، فقد بحثت لها عن حلفاء آخرين، ووجدت ذلك في دولة الفرنجة بقيادة شارل مارتل، ومن هنا بدأت الخطوة الأولى في طريق احياء الإمبراطورية في الغرب.

قسطنطين الخامس (741-775م):

اعتلى عرش الإمبراطورية بعد ليو ابنه قسطنطين الخامس، وورث قسطنطين إمبراطورية مستقرة اقتصاديا، وإن كانت مسألة الصراع الأيقوني تسبب أزمة دينية واجتماعية، إلا أن الإستقرار الاقتصادي منح قسطنطين الخامس الفرصة لمواجهة الأخطار الخارجية، واستهل قسطنطين حكمه بحملة عسكرية على المسلمين، إلا أن **ارتاباسدوس** قائد أحد الثيمات، وزوج شقيقة الإمبراطور، انتهز فرصة خروج الإمبراطور بنفسه على رأس الجيش، وهاجم مؤخرة جيش الإمبراطور، فتشتت القوات وفر الإمبراطور نفسه، بينما دخل أرتاباسدوس القسطنطينية عام 742م بقواته وأغتصب العرش، ورحب به قطاع كبير من الشعب لمناصرته عبادة الأيقونات.

غير أن قسطنطين تمكن من تجميع جيوشه في عمورية، واستغرق منه الأمر نحو عام ونصف العام حتى تمكن من استرداد عرشه، وقضى على أعدائه واتباعهم وكل من قدم لهم يد العون، وأظهر قسطنطين تشددا في تحريم الأيقونات وتجريم أنصارها، وعقد مجمع ديني لأجل ذلك عام 754م، وردت البابوية في روما بقرار الحرمان على الإمبراطور، وعلى كل من حضر المجمع وأيد الإمبراطور.

وسار قسطنطين الخامس على سياسة والده في العلاقة مع البابوية، فلم يعر قرار البابا أي اهتمام، فأمر بآزالة جميع الصور والأيقونات من الكنائس والأديرة وكل الأماكن العامة بالإمبراطورية، وحل محلها صور للطبيعة والطيور والأشجار، ومناظر الصيد البري والبحري، وعربات السباق بألوان الفرق،

وأمتدت حركته اللاأيقونية إلى الرهبان داخل الأديرة، حتى أن بعض الرهبان أرغموا على خلع الرداء الرهباني، وممارسة الحياة العامة، وأداء الخدمة العسكرية، وأمتدت كراهية قسطنطين للأيقونات وأتباعها للأقاليم، فأساء رجاله معاملة رجال الدين الأيقونيين (يذكر المؤرخون أن حاكم أفسوس المعادي للأيقونات لما شاهد تشدد الإمبراطور قسطنطين الخامس مع الرهبان، جمع الرهبان والراهبات في إقليمه، وأمرهم بارتداء الملابس البيضاء والزواج، طاعة لأوامر الإمبراطور، وهدد من يرفض بسمل عينيه، كما يؤكد المؤرخون أن الإمبراطور أرسل بتحيته للحاكم الذي أهان الرهبان وأجبرهم على الزواج)

وتم في عصر قسطنطين الخامس اخلاء العديد من الأديرة من الرهبان، وتحويلها إلى ثكنات عسكرية ومخازن للذخيرة، حتى أن عدد من الرهبان هربوا من الإمبراطورية وفضلوا اللجوء للخلافة العباسية لحمايتهم من اضطهاد الإمبراطور، وبعضهم فر إلى روما ليحتمي بالبابوية.

وأهم ما يميز عصر قسطنطين الخامس هو حروبه مع **البلغار**، فقد انتهت بعصره فترة السلام مع البلغار، إذ اهتم قسطنطين الخامس بتأمين الإمبراطورية، فأقام حصون على حدود الإمبراطورية مع البلغار، وقام بتجديد الحصون والقلاع القديمة، مما اعتبره البلغار بداية تهديد مباشر من الإمبراطورية، فبدأوا بالإغارة على الحدود الإمبراطورية، وكانت الجبهة الإسلامية قد هدأت بسبب النزاع بين الأمويين والعباسيين، وكان قسطنطين قد جمع حوله عدد كبير من القادة العسكريين الذين يتمتعون بكفاءة حربية عالية، فاستغل قسطنطين الخامس فرصة هدوء الجبهة الإسلامية، وقام بعدة حملات متتالية على مملكة البلغار، مستخدماً أساليب جديدة في القتال، فاعتمد على فكرة الجيوش المزدوجة، وتمكن من تحقيق انتصارات كبيرة على البلغار، جعلت الإمبراطورية في مأمن خطرهم لعدة سنوات.

ولم يغفل قسطنطين الخامس متابعة الأحوال الداخلية للإمبراطورية، فقد تابع سياسة والده في تطبيق القوانين، وكانت النتيجة إنعاش الحياة الاقتصادية للإمبراطورية، وأهتم قسطنطين كثيراً بالحياة الأدبية، وعرف عنه أنه أديب مثقف، يداوم على الكتابة، وقد ترك كتابات كثيرة يشرح فيها سياسة الإمبراطورية في تحريم الأيقونات ويناقد الأمور بموضوعية وفكر مستنير، إلا أن المواطنين البيزنطيين لم يغفروا له العنف الذي شاهده في إهانة الرهبان والراهبات.

ليو الرابع (775-780م):

خلف قسطنطين على عرش الإمبراطورية ابنه ليو الرابع، وعرف ليو بين الناس باسم ليو الخزري، لأن والدته كانت ابنة خاقان الخزر، واستقبل ليو عصره بتخفيف الصراع الأيقوني، وترك حرية الاعتقاد في الأيقونات أو تحريمها لرغبة الأفراد، وأعاد للرهبان بعض السلطات التي سلبها منهم قسطنطين الخامس، ويرجع كثير من المؤرخين الاعتدال في سياسة ليو مع الأيقونيين إلى تأثير زوجته إيرين، التي كانت تؤمن بالأيقونات وتنصرها، غير أن ليو لم يستمر كثيراً في سياسة الاعتدال، إذ سلك الأيقونيين سلوك سيء مع مناهضي الأيقونات عندما منحهم ليو الرابع قدر من الحرية، فعاد ليو لسياسة الشدة، حتى أنه أمر بجلد وحبس عدد كبير من الأيقونيين، وكان ليو معتل الصحة وأنهكه مرض السل، فلم تكن له أعمال حربية مثل والده وجده.

قسطنطين السادس وإيرين (780-802م):

مات ليو الرابع، تاركاً ابنه قسطنطين دون العاشرة، فتولى الحكم باسم قسطنطين السادس، تحت وصاية والدته إيرين، التي كانت الحاكم الفعلي للإمبراطورية، وبمجرد توليها مقاليد الحكم الإمبراطورية تحولت سياسة الدولة لنصرة الأيقونيين، فبادرت بتبديل الوظائف ونقل بعض الموظفين من أماكنهم، فكانت نتيجة تلك السياسة تولي الأيقونيين المناصب الكبرى بالإمبراطورية، وأعدت الرهبان المنفيين وأفرجت عن

المسجونين، وأعادت الأديرة التي كانت تحولت إلى ثكنات عسكرية، وكانت تخشى تمرد الجيش، خاصة وأن أغلب القادة من مناهضي الأيقونات، فقامت بتفريقهم على الحدود بحجة حمايتها من إغارات البلغار والمسلمين، ثم عقدت مجمع نيقيا عام 787م، الذي أعاد تقديس واحترام الأيقونات وحرمان من يخالف تلك القرارات، وبالطبع وجدت هذه القرارات كامل التأييد من بابوية روما، مما ساعد على عودة العلاقات الودية بين البابوية والإمبراطورية البيزنطية.

وما لبثت الخلافات أن اشتدت بين إيرين وإبنها قسطنطين السادس، فقد تجاوز قسطنطين سن الوصاية، وما زالت والدته متمسكة بالوصاية ومشاركته في تسيير أمور الحكم، وقامت في الإمبراطورية حركة معارضة لحكمها يدعمه اللايقونيين، وطالب قطاع كبير بتسليم أمور الحكم لقسطنطين، وأصر قادة الجيش على تولي قسطنطين مسؤولياته بنفسه، فقام قسطنطين بإجبارها على ترك أمور الحكم عام 790م، ولكنه لم يكن جديراً بتولي أمور الإمبراطورية، كما لم يكن لديه القدرة على خوض الحروب ومواصلة القتال، فسرعان ما انهزم أمام البلغار عام 792م، وفر هارباً من ميدان القتال، تاركاً جنوده وقواده بين أسير وجريح، واضطرت الإمبراطورية إلى عقد صلح مهين مع البلغار، ودفعت إتاوة سنوية باهظة مقابل عدم إغارة البلغار على حدود الإمبراطورية، أما إيرين التي كانت قد اكتسبت شعبية كبيرة من بعض قطاعات الشعب بسبب إعادة الاعتبار للأيقونيين، لم تستسلم للعزل، واستغلت فرصة فشل إبنها في حروبه مع البلغار، لتستعيد مركزها كإمبراطورة، ووجدت لها بعض المؤيدين من قادة الجيش الذين قربتهم ورفعتهم أثناء توليها زمام الأمور بالإمبراطورية، وأنقسم الجيش بينها وبين قسطنطين، واتبعت إيرين مع ابنها سياسة مأكرة لينفض المؤيدون من حوله وتتمكن من التخلص منه، فتقربت إليه واقنعتة بأن أعمامه يريدون التخلص منه لتولية أحدهم الحكم، فأمر بالقبض على أعمامه، فسمل عين عمه نقفور المساند له، وقطع ألسنة أعمامه الآخرين، فغضب عليه أنصاره من رجال الجيش، كما سمل عيني قائد ثغر أرمينيا، وهي من أكبر ثغور الإمبراطورية، خوفاً من إلتفاف الجنود حوله وقيامه بحركة تمرد، فغضب الجنود الذين كانوا تحت إمرة ذلك القائد، وأعلنوا التمرد على الإمبراطور، إلى جانب ذلك، شجعت إيرين ابنها على طلاق زوجته الشرعية، ليتزوج من إحدى وصيفات القصر، وكانت الوصيفة مطلقة، ويمنع القانون زواج الإمبراطور منها، فبال غضب رجال الدين، وبذلك انفص اتباع قسطنطين السادس من حوله، وأصبح من السهل على إيرين التخلص منه دون الخوف من غضب أنصاره، فأمرت بالقبض عليه وسمل عينيّه، وانفردت بالحكم عام 797م.

مع عودة إيرين للحكم، عادت سلطة مؤيدي الأيقونات، وأدت العودة إلى تقديس الأيقونات إلى الإنقسام في صفوف المواطنين، وكذلك إلى الجيش، وتدهورت الأحوال الاجتماعية بسبب الصراع الذي أمتد لكل أرجاء الإمبراطورية، واستهلت إيرين حكمها المنفرد بموجة من الغضب الشعبي بسبب الجريمة التي ارتكبتها في حق ابنها، فقامت إيرين على الفور بامتصاص حالة الغضب بقرار تخفيف الضرائب عن المواطنين، فألغت بعض الضرائب وقابل قرارها رضا عامة المواطنين البيزنطيين.

وكانت الدولة العباسية قد بلغت قمة مجدها، وتوالت هجمات الخليفة هارون الرشيد على الإمبراطورية، ولم يتمكن الجيش البيزنطي من التصدي للخطر الإسلامي، بسبب الصراع الداخلي بين القادة، وحالة الغضب التي سيطرت على قطاع كبير بسبب سلوك إيرين مع ابنها قسطنطين، فتقدمت الجيوش الإسلامية حتى البسفور، واضطرت إيرين إلى طلب الصلح من الخليفة هارون الرشيد، الذي وافق على عقد الصلح، على جزية سنوية تقدر بسبعين ألف دينار كل عام، وفي ظل تلك الظروف، كان البلغار قد استغلوا انشغال الإمبراطورية بالأمور الداخلية، وقبوا مركزهم وبدأوا في تهديد القسطنطينية من جديد، واضطرت الإمبراطورية لدفع جزية أخرى للبلغار.

في النفس الوقت، كان الغرب الأوروبي في حالة ازدهار بتولي شارلمان دولة الفرنجة، وقيامه بحماية البابوية من المخاطر التي تعرضت لها، خاصة من اللباردين، فقام البابا ليو الثالث بتتويج شارلمان إمبراطوراً في كنيسة القديس بطرس في روما في ليلة عيد الميلاد عام 800م، معللاً ذلك بأن عرش الإمبراطورية في الشرق قد أصبح شاغراً بعزل الإمبراطور قسطنطين السادس، واستنكر الطريقة التي عاملت بها إيرين ابنها لتستولي على العرش، وأعرب عن رفضه لحكم إيرين وعدم اعترافه بها، ولذلك وجب على البابا تعيين إمبراطور، وبذلك تلاحت الضربات على الإمبراطورية البيزنطية من كل جانب، وحاولت إيرين إنفاذ موقفها، فتحالفت مع دولة الفرنجة، وتقربت من شارلمان بالهدايا، وأظهر شارلمان ودا في معاملتها، وتقرر ربط الشرق بالغرب حسب رغبة البابا بزواج شارلمان وإيرين، وفي أثناء المفاوضات لإتمام الزواج، قامت ثورة أطاحت بإيرين وتم إيداعها أحد الأديرة لتعيش فيه ما بقي من عمرها.

نقفور الأول (802-811م):

قام نقفور مسئول الخزانة الإمبراطورية بتدبير مؤامرة لعزل إيرين، والتف حوله عدد كبير من الساخطين عليها، فتعاونوا معه وأطاحوا بها، وانتهت بذلك الأسرة الأيسورية، وتولى نقفور عرش الإمبراطورية، ولكن الوقت لم يسعه لتكوين أسرة جديدة، فبمجرد توليه العرش، استبعد نقفور الأيقونيين من الوظائف الكبرى، وأمر بتحطيم الصور والتماثيل التي عادت للانتشار خلال فترة حكم إيرين، وقرر نقفور أن يوجه كامل جهوده لإصلاح الحالة الإقتصادية للإمبراطورية، وتوفير النفقات لسد العجز في الميزانية، فقد كان نقفور قبل توليه العرش يلم بكل الأمور المالية في الإمبراطورية، ويلمس بنفسه مدى العجز الذي بلغته خزانة الدولة وجميع الإدارات الحكومية، فأمر بعودة الضرائب التي أمرت إيرين بإلغائها، كما أمر بجمع جميع الضرائب المتأخرة، وعدم ترك فترة سماح لأصحابها، بل قرر تشكيل لجنة لإعادة تقدير الضرائب، فزادت ضريبتى الرأس والأرض، كما أنه صادر بعض أملاك الكنائس والأديرة، واستخدم هذه الأموال في الإنفاق على الجيش، وإعادة تنظيمه.

ووجد نقفور أنه ملزم بدفع قدر هائل من الجزية للخلافة العباسية ومملكة البلغار، فمنع الجزية عن الخليفة هارون الرشيد، بل أرسل له خطاب يأمره برد ما كانت إيرين قد دفعته في السنوات السابقة، فاعتبر هارون الرشيد هذه الرسالة نقض للهدنة وإعلان بالحرب، فرد رد قوي استهله بعبارة (من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم)، وحملت رسالة هارون الرشيد تهديد شديد، وسارع بأعداد قواته وتقدم نحو أراضي الدولة البيزنطية معلناً الحرب، ومصرراً على تأديب نقفور عام 803م، في نفس الوقت واجه نقفور انقلاب داخلي ومحاولة اغتصاب العرش من قائد أحد الثغور بآسيا الصغرى، ووجد أن قواته لن تقو على مواجهة هارون الرشيد، فأرسل إليه يطلب منه قبول الجزية ووقف التقدم في الأراضي البيزنطية، فوافق هارون، إلا أن نقفور عاد وحسن بوعده، فعاد هارون الرشيد بقواته واستولى على عدد كبير من المدن البيزنطية عام 806م، حتى اضطر نقفور لدفع الجزية مقابل الهدنة، فقد وجد أنه لا قبل له بقوات هارون الرشيد، وفضل أن يعقد سلام مع المسلمين حتى يتفرغ لحروبه مع البلغار، استمرت حروب نقفور مع البلغار من عام 807م، أحرز خلالها البلغار عدة انتصارات على الإمبراطورية، وكبدها خسائر كبيرة، وانتهى الأمر بمقتل نقفور نفسه في حروبه مع البلغار عام 811م، واصابة ابنه وولي عهده ستوراكيوس، إصابة خطيرة، وعاد به الجنود إلى القسطنطينية ليتولى الحكم، غير أن الأطباء عجزوا عن مداواة جراحه، فتم تتويجه إمبراطور حتى يتمكن من تعيين قيصر يخلفه على حكم الإمبراطورية، فعين ستوراكيوس، زوج شقيقته ميخائيل ليخلفه على العرش، ومنحه لقب (الشريف)، وهو أحد الألقاب الكبرى التي لا يحق أن يحملها إلا أفراد الأسرة الإمبراطورية.

ميخائيل الأول رانجاي (811-813م):

استمر ستوراكيوس في حكم الإمبراطورية من فراش المرض لمدة ثلاثة أشهر، قضاها من محاولة زوجته اقناعه بتتويجها إمبراطورة إلى جانبه وترك حكم الإمبراطورية لها، وتحت ضغط زوجته أمر ستوراكيوس بالقبض على الشريف ميخائيل الرانجابي وسمل عينيه، إلا أن الشعب الذي كان قد وقع تحت حكم إيرين من قبل لم يقبل أن تحكمه سيدة، فقامت ثورة نظمها الجنود بمشاركة أعضاء السناتو، وقاموا بتتويج ميخائيل الرانجابي في الهيبودروم، واضطر ستوراكيوس للتنازل عن العرش واختار أن يقضي الفترة الباقية له في الحياة داخل أحد الأديرة، حيث مات بعد ثلاث أشهر أخرى في بداية عام 812م.

كان ميخائيل ضعيف الشخصية، ولم يستطع تدبير أمور الحكم، وأنفق ما جمعه نفقور الأول في خزانة الإمبراطورية على مهادة كل من ساعده في تولي الحكم، وأنقذه من عقاب سمل العينين، وأغدق الأموال على الكنائس والأديرة، وأعاد الأيقونيين إلى مناصبهم.

في خلال فترة الإضطرابات التي مرت بها الإمبراطورية، تقدم شارلمان واستولى على أجزاء كبيرة من ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية، فقرر ميخائيل أن يسوي الأمر مع الإمبراطور الجديد، وأرسل له سفارة تعترف به وتقره إمبراطور على الغرب الأوروبي عام 812، ومنذ ذلك الوقت أصبح هناك إمبراطوران شرعيان أحدهما بالشرق والآخر بالغرب.

أما عن البلغار، فقد استمر تقدمهم في أراضي الإمبراطورية البيزنطية، ولقى الجيش البيزنطي هزيمة كبيرة من البلغار عام 813، حتى يقول المؤرخون، أن عامة الشعب تظاهروا على الإمبراطور ميخائيل الأول عند قبر قسطنطين الخامس الذي أذاق البلغار مر الهزيمة من قبل، ونادى اللاأيقونيون من جديد بأن هذه لعنة وغضب من الله على الإمبراطور الذي أعاد تقديس الأيقونات، وأنضمت قوات الجيش المنهزم إلى عامة الشعب في تلك الثورة، وقاموا بانقلاب عسكري، وقرروا عزل الإمبراطور، وتعيين القائد ليو الذي بذل جهدا كبيرا في محاربة البلغار، وحملوه على الأعناق حتى أجلسوه على العرش.

ليو الخامس الأرمني (813-820م):

تولى ليو في فترة حرجة، فجيوش البلغار تتقدم في أراضي الإمبراطورية، حتى وصل كروم ملك البلغار بقواته أمام أسوار القسطنطينية، غير أن البلغار لم ينجحوا في اقتحام القسطنطينية، وفشلت خطة عقد الصلح بين الطرفين، فاستمرت الحرب حتى مات كروم ملك البلغار القوي عام 814م، وفضل من جاء بعده عقد معاهدة صلح مع الإمبراطورية البيزنطية، فدخلوا في معاهدة لمدة ثلاثين عام.

أراحت معاهدة الصلح، ليو الخامس، والتفت لتنظيم أمور الدولة ومعالجة الإقتصاد، وبدأ على الفور بإظهار ميوله ضد الأيقونات، ولكنه اتخذ سياسة هادئة في معالجة الموقف، فلم يرد أن يغضب الأيقونيين، فأمر برفع الصور والتماثيل في الأماكن العامة وفي الكنائس لأماكن مرتفعة، حتى تظل موجودة فلا يغضب الأيقونيين، ولكن في نفس الوقت تكون بعيدة عن متناول أيديهم فلا يمكنهم التمسح بها لنيل البركة، أو التداوي بتقبيلها، وبالطبع هذه السياسة أغضبت الفريقين، الأيقونيين وأعداء الأيقونات، وقضى ليو فترة حكمه في صراع أنصار الأيقونات وأعدائها، خاصة وأن اللاأيقونيين الذين ساندوه في الوصول للحكم، وخاصة العسكريين من زملاء السلاح، اعتبروا أن اتباع الإمبراطور لسياسة إرضاء جميع الأطراف بمثابة خيانة لهم، وأنهى الأمر بقتله في ليلة عيد الميلاد عام 820م، لتبدأ أسرة جديدة.